كيف تكون ناجحًا مع المال

كيف تكون ناجحًا مع المال[1]

لا يشك إنسان في أن أشهر شخصية في العالم هي المال، فلا يوجد إنسان إلا ويعرفه حق المعرفة ويحبه حق الحب، بل وربما يدفع حياته ثمنًا للحصول عليه. والمال هو مجرد لسان حال الرزق، والرزق هو كل شيء يرزقه الله للإنسان ويمكن بيعه وتحويله إلى مال، والرزق بيد الله تعالى، فهو الرزاق ذو القوة المتين؛ يرزق من يشاء، ويمنع الرزق عمن يشاء، يوسع الرزق أو يضيقه على من يشاء من عباده، وله الحكمة البالغة في ذلك، ولن يموت أي إنسان حتى يستوفي تمامًا ما قسمه الله له من رزق ومال، وهذا الرزق وإن أبطأ عنه في بعض الأحيان -لحكمة يعلمها الله- فهو لا بد يأتيه؛ قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس! اتقوا الله وأجملوا في الطلب. فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها**»[2].

فالنجاح مع المال لا يتم بكثرة علم أو ذكاء، وإلا لكان لزامًا أن يكون كل عالم أو ذكي ناجحًا مع المال وغنيًا من الأغنياء، ولكن الواقع يشهد بأن كثيرًا من هؤلاء يعيشون فقراء ويموتون فقراء، وبالوقت نفسه تسمع عن أغنياء ليس

---

(١) هذا الفصل كان سببًا في تأليف كتاب مستقل عن المال هو «أنت والمال»، إذ عندما راجعت آيات القرآن التي تتحدث عن المال لكتابة هذا الفصل وجدتها من الكثرة وتعدد الموضوعات بحيث تستحق أن يكون للمال كتاب مستقل وهكذا كان، فمن أراد التوسع في موضوع المال بما يشفي الغليل فليرجع إلى الكتاب المذكور.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٧٤٣.

لديهم من العلم أو الذكاء إلا الشيء المتواضع، مما يعني أن الجهل أو الغباء لا يحتم وجود الفقر والفشل مع المال. فلا بد إذًا أن النجاح في استجلاب الرزق والمال له أسباب أخرى غير الأسباب المادية المعروفة بين الناس.

لقد جعل الله تعالى للنجاح مع المال واكتساب الرزق أسبابًا دينية وأسبابًا مادية، أما الأسباب المادية فمعروفة وهي عن طريق الحركة والعمل والسعي في طلب الرزق، وأما الأسباب الدينية فهي أهم وأقوى من الأسباب المادية بل هي أساسها وهي التي تبارك فيها وتسهل عملها وتسبب النجاح فيها بإذن الله تعالى؛ فمن اتخذها وعمل بما أمره الله به وترك ما نهى الله عنه بنية مخلصة كان حقًا على الله أن يكتب له النجاح مع المال وييسر له كسبه بواسطة الأسباب المادية من عمل أو وظيفة أو بيع أو تجارة أو غير ذلك من الأسباب والوسائل التي أباحها الله جلَّ جلاله، ويخطئ من يعتقد أن النجاح في كسب المال يكون بهذه الوسائل المادية فقط وإلا لما استخدم إنسان هذه الوسائل إلا ونجح وصار غنيًا، ولما سمعنا عن فشل كثير من الناس في أن يصبحوا أغنياء بالرغم من حرصهم وانشغالهم طوال عمرهم في استخدام هذه الوسائل المادية، بل وبعضهم ممن يستخدم وسيلة البيع والتجارة أو أعمال البناء ونحو ذلك يفلس ويوضع في السجن!.

إن أساس الأسباب والوسائل الدينية هو طاعة الله وعبادته أولاً وآخرًا، وعلى هذا الأساس فقط يجب أن يفعلها العبد الذي يريد أن ينجح مع المال، لا أن يكون غرضه من فعلها مجرد النجاح في استجلاب الرزق والمال؛ فقد لا يقدِّر الله عزَّ وجلَّ النجاح ومجيء الرزق والمال لمثل هذا النوع من الفعل، لأنه تعالى هو مسبب الأسباب وخالقها وخالق ما ينتج عنها، وقد يجعلها لبعض الناس بلا

نتيجة. فمن يهمه النجاح مع المال فليس أمامه سوى أن يكون عمله خالصًا لوجه الله تعالى وأن يكون غرضه من فعل ما سيأتي من أسباب كسب المال أو حفظه أو زيادته هو عبادة الله جلَّ جلاله وطاعة أوامره وابتغاء مرضاته.

١- عمل الصالحات وفعل الحسنات:

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٢].

يضع الله تبارك وتعالى شرطًا وجوابه؛ فأما الشرط فهو العمل الصالح المبني على الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ؛ وأما الجواب فهو حياة طيبة وهي الرزق الحلال الطيب. وقيل: الحياة الطيبة تشتمل وجوه الراحة من أي جهة كانت. وقد أكد رسول الله ﷺ هذا السبب لكسب الرزق والمال فقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله عزَّ وجلَّ لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة**»[٣]؛ فما من حسنة يفعلها المؤمن إلا ويعطيه الله عزَّ وجلَّ عليها في الدنيا والآخرة؛ في الدنيا: بتوسعة رزقه أو سوق رزق جديد إليه، بل ربما يجازيه أيضًا بدفع بلاء أو نصر على عدو أو غير ذلك إضافة إلى الرزق. وفي الآخرة: برفع درجاته في الجنة.

فمن يريد أن يحييه الله تعالى في الدنيا حياة طيبة يجد فيها الراحة من كل الجهات ويأتيه الرزق الحلال الطيب من خير الرازقين، ويستحق كذلك أن يحييه

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٤.

(٣) مسند أحمد، رقم: ١٢٢٠٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

الله تعالى حياة طيبة في الدار الآخرة وأن يجزيه أجره بأحسن ما كان يعمل؛ فيجب عليه أن ينفِّذ الشرط وهو القيام بالأعمال الصالحة المتابعة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ وهذا وعد من الله عزَّ وجلَّ، ووعد الله نافذ.

٢- تقوى الله عزَّ وجلَّ:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[١]؛ فتقوى الله عزَّ وجلَّ سبب لمجيء الرزق من حيث لا يدري الإنسان؛ وقد تلا النبي ﷺ هذه الآية على أبي ذر ثم قال له: «**يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم**»[٢]؛ أي لو أن جميع الناس حققوا التقوى والتوكل لاكتفوا به فيما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم. فمن يتق الله تعالى في السر والعلن، ويتق الشرك بالله ويعمل بطاعة الله فإن الله عزَّ وجلَّ يجعل له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن جهة لا تخطر بباله، وييسر له أموره؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾[٣].

٣- التوكل على الله:

قال رسول الله ﷺ: «**لو أنكم كنتم توكَّلون على الله حق توكله لرُزِقتم كما تُرزَق الطير، تغدو خماصًا، وتروح بطانًا**»[٤]؛ فهذا الحديث أصل في التوكل وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق؛ ومعناه أنه لو كنتم تعتمدون على الله

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣.

(٢) مسند أحمد، رقم: ٢١٤٤٣، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٤.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩١١.

متيقنين بأنه لا فاعل إلا هو، وأنه لا معطي ولا مانع إلا هو، وأن الخير بيده وحده، ثم تسعون في طلب الرزق بالتوكل عليه لرزقكم كما يرزق الطير التي تذهب أول النهار جياعًا وترجع آخر النهار شباعًا كبيرة البطن؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[1].

وتحقيق التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، والسعي في طلب الرزق، فالتوكل لا يصح إلا مع القيام بذلك وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد؛ فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[2] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾[3]؛ أي امشوا وسافروا حيث شئتم من البلاد واسعوا في طلب أنواع الأعمال المختلفة التي أحلها الله لكي تدر عليكم ما يلزمكم من المال الحلال وتأكلوا من رزقه، فالطير مع توكلها على الله عزَّ وجلَّ وهو المسخر المسير المسبب فهي تسعى وتغدو وتروح لطلب الرزق؛ فالتوكل ليس التبطل والتعطل، بل لا بد فيه من التوصل بنوع من السبب لأن الطير ترزق بالسعي والطلب.

واعلموا أن سعيكم لا ينفعكم بشيء إلا بشيء قد كتبه الله ويسره لكم؛ فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تيسر شيء فبتيسيره، لأن الكسب ليس برازق بل

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٥.

الرازق هو الله جلَّ جلاله ولهذا قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾؛ ومن أجل ذلك كان من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها. وقال رسول الله ﷺ: «**من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقته. ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل**»(١)، وفي رواية: «**ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى إما بموت عاجل أو غنى عاجل**»(٢)؛ فالذي تصيبه شدة حاجة فيتوجه بالدعاء إلى الله القادر على حوائج جميع الخلق الذي لا يُغلق بابه، ويعتمد على الله ويتوكل عليه في سد فاقته، ويترك عرضها على الناس؛ فإن الله عزَّ وجلَّ يسرع غناه ويعجله برزق عاجل من حيث لا يدري أو رزق آجل، وفي شرح قوله «**بموت عاجل**» قيل: بموت قريب له غني فيرثه. قال الله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾(٣).

٤- الإكثار من الاستغفار:

قال الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾(٤)؛ فقد أعلن نوح لقومه أنهم إن استغفروا الله ورجعوا إليه ورجعوا عما هم فيه وتابوا إليه تاب عليهم لو كانت ذنوبهم مهما كانت في

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٩٥.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٤٤٨.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٢.

(٤) سورة نوح، الآيات: ١٠-١٢.

الكفر والشرك، ويرسل الله عليهم الأمطار متواصلة، وينبت لهم من بركات الأرض وينبت لهم الزرع، ويكثر عليهم الرزق ويمددهم بأموال وأولاد ويجعل لهم جنات فيها أنواع الثمار ويخللها بالأنهر الجارية بينها.

ففي هذه الآية دليل على أن الاستغفار يستنـــزل به الرزق والأمطار وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه استسقى فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الآية ثم قال: «لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنـــزل بها المطر»، وقال ابن صبيح: شكا رجل إلى الحسن الجدوبة فقال له: استغفر الله. وشكا آخر إليه الفقر فقال له: استغفر الله. وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولدًا؛ فقال له: استغفر الله. وشكا إليه آخر جفاف بستانه؛ فقال له: استغفر الله. فقلنا له في ذلك؟ فقال: ما قلت من عندي شيئًا؛ إن الله تعالى يقول في سورة نوح، وتلا الحسن الآيات السابقة.

قال رسول الله ﷺ: «**من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**»[1]؛ فما سبق من نصوص القرآن والحديث دليل على عظيم فائدة الاستغفار وأنه إضافة إلى مغفرة الله التي ينالها المستغفر على استغفاره فإن لزوم الاستغفار وتكراره عشرات المرات إن لم يكن مئات المرات كل يوم سبب في مجيء الرزق وكسب المال. أما الاستغفار فإنه يكون عن إخلاص وإقلاع من الذنوب؛ وهو الأصل في الإجابة، لا التلفظ باللسان فقط.

---

(١) مسند أحمد، رقم: ٢٢٣٤، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

٥- الدعاء[١]:

عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقول إذا صلى الصبح حين يسلم: «**اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملاً متقبلاً**»[٢]، كذلك كان ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقِلة والذِّلة**»[٣]؛ فقد كان رسول الله ﷺ نفسه يدعو الله تعالى بأن يرزقه الرزق الطيب ويتعوذ بالله تعالى من الفقر؛ وعن علي رضي الله عنه، أن مكاتبًا جاءه فقال: إني قد عجزت عن كتابتي فأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ؟ لو كان عليك مثل جبل صِير دينًا أداه الله عنك، قال: قل: «**اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك**»[٤]؛ فهذا المكاتب قد عجز عن أداء المال الذي كاتبه به سيده وبلغ وقت الأداء وليس له مال فطلب من علي رضي الله عنه أن يعينه بالمال أو بالدعاء بسعة المال فعلمه أن يدعو بهذا الدعاء، وأن يستعين بالله لأدائها ولا يتكل على الغير.

فالدعاء أحد أسباب اكتساب الرزق لأنه توجه وسؤال الرزاق الذي بيده الرزق ويرزق من يشاء بغير حساب؛ وقد جعل الله تعالى الدعاء عبادة؛ قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة، قال ربكم:** ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٥]»[٦]، وقد أمر الله تعالى

---

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ص: ٢/٢٠٨-٢٠٩، وتحفة الأحوذي للمباركفوري، ص: ١٠/٤٩.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٧٥٣.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٢٨٧.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٨٢٢.

(٥) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٦) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣١٢.

عباده بأن يدعوه، ووعدهم بأن يستجيب لهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[١]، وهو تعالى يحب أن يُسأل من فضله ووعد بأن يعطي من يسأله؛ قال النبي ﷺ: «**ينـــزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»[٢]. وقال رسول الله ﷺ: «**إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا**»[٣]. ومن رحمة الله تعالى بعباده أنه تعالى يجيب دعوة المضطر كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[٤]؛ وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إلام تدعو، قال ﷺ: «**أدعو إلى الله وحده، الذي إن مسَّك ضر، فدعوته، كشف عنك. والذي إن ضللت بأرض قفر، دعوته، رد عليك. والذي إن أصابتك سنة، فدعوته، أنبت عليك**»[٥].

فمن هنا كان الدعاء سببًا لكسب الرزق والمال لأن الله تعالى يجيب دعوة من دعاه ويستحي أن يرد يدي من يدعوه صفرًا؛ وإذا وجد الرجل أنه يدعو ولا يُستجاب له فقد يكون لذلك سبب من نفس هذا الرجل أو وقوع خلل في شرط من شروط الدعاء؛ فالعبد إذا دعا ربه و لم يكن في دعائه واحد من موانع الإجابة الثلاثة فالاستجابة مؤكدة بواحد من ثلاثة أشياء؛ قال رسول الله ﷺ: «**ما من**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣٢٠.

(٤) سورة النمل، الآية: ٦٢.

(٥) مسند أحمد، رقم: ٢٠٥١٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

رجل يدعو الله بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يُعجَّل له في الدنيا، وإما أن يدَّخر له في الآخرة، ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل» قالوا: يا رسول الله وكيف يستعجل؟ قال: «**يقول: دعوت ربي فما استجاب لي**»[(١)].

والمطلوب من الداعي أن يلح في الدعاء وألاَّ يمل منه، وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب في الأوقات الفاضلة والأحوال التي يكون الغالب فيها الإجابة كثلث الليل الآخر، وما بين الأذان والإقامة، وفي السجود، ويوم الجمعة، وأوقات الاضطرار، وحالة السفر والمرض، وغير ذلك من أوقات الإجابة، وأن يكون موقنًا بالإجابة؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «**ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه**»[(٢)]، وأن يجتنب موانع إجابة الدعاء كالأشياء الثلاثة الآنفة الذكر وهي الدعاء بإثم أو قطيعة رحم أو الاستعجال؛ ويدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم. ويمنع من إجابة الدعاء أيضًا أكل الحرام وما كان في معناه؛ قال ﷺ: «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِي بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك**»[(٣)]، أي من أين يُستجاب لمن هذه صفته وكيف يُستجاب له.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٨٥٢.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٧٦٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة وأنواعها وأنها حجاب من النار.

٦- ذكر الله:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[١]، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا رأى أحدكم من أخيه، أو من نفسه، أو من ماله، ما يعجبه فليبركه، فإن العين حق**»[٢]؛ وقوله: فليبركه أي يقول: اللهم بارك فيه، ووردت أحاديث أخرى يجمعها قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَاشَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾.

فقد سن الإسلام لمن رأى من ماله ما يعجبه سواء من ناحية الكثرة أو الجودة أو الجمال ونحو ذلك أن يدعو الله عزَّ وجلَّ أن يبارك له فيه وأن يذكر الله تعالى بقول: ﴿مَاشَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ وذلك من أجل أن لا يصاب بالعين لأن العين حق ولا شبهة في تأثيرها في الأجسام البشرية فضلاً عن الأموال، ومن أجل أن يحفظ الله جلَّ جلاله هذا المال وأن يبارك فيه بأنواع البركة التي يستحقها صاحب المال.

فقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله؛ استسلام وتفويض، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن ما اجتمع عنده من المال فهو بقدرة الله جلَّ جلاله وقوته لا بقدرة العبد وقوته، ولو شاء الله لنـــزع البركة منه فلم يجتمع، فالعبد لا يملك من أمره شيئًا وليس له حيلة في دفع شر، ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى. وقد قال النبي ﷺ: «**ألا أعلمك كلمة هي من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله**»[٣]. وقد كان النبي ﷺ نفسه يذكر الله ويتعوذ به من سوء المنقلب في

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٩.

(٢) مسند أحمد، رقم: ١٥٦٤٠، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب لا حول ولا قوة إلا بالله.

المال وذلك كلما خرج في سفر وكلما عاد من السفر، قال ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل**»(١).

٧- الإنفاق في سبيل الله:

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٢).

يضرب الله جلَّ جلاله مثل الذي ينفق نفقة في سبيل الله كمثل الزارع الذي يزرع في الأرض حبة فتنبت الحبة سبع سنابل في كل واحدة منها مئة حبة؛ فيكون نتاج الحبة الواحدة سبع مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء؛ فكذلك الدرهم في سبيل الله يصبح سبع مئة درهم، فالمنفق في سبيل الله إذا كان صالحًا والمال طيبًا ويضعه موضعه ينميه الله عزَّ وجلَّ حتى يصير ثوابه إلى سبع مئة ضعف أو أكثر.

وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٣)؛ وفي هذه الآية يحث الله عزَّ وجلَّ على الإنفاق في سبيل الله وسماه قرضًا تأكيدًا على الرد، وأنه تعالى يرد القرض لصاحبه أضعافًا كثيرة، والكثير من الله لا يحصى، وأن الله يقبض ويبسط فأنفقوا ولا تبالوا؛ لأن الله هو الرزاق يضيق على من يشاء من عباده في الرزق، ويوسعه على آخرين له الحكمة البالغة في ذلك، وإليه ترجعون يوم القيامة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب استحباب الذكر إذا ركب دابته متوجهًا لسفر.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

وسبل الله التي يمكن للمؤمن أن ينفق ماله فيها كثيرة وأعظمها الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ونشر الإسلام، وعن ابن عباس: الجهاد والحج يضعف الدرهم فيهما إلى سبع مئة ضعف.

٨- الزكاة والصدقة:

قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[١]، وأتى رجل من بني تميم رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني ذو مال كثير وذو أهل وولد وحاضرة فأخبرني كيف أنفق وكيف أصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تُخرج الزكاة من مالك فإنها طُهرة تطهرك، وتصل أقرباءك وتعرف حق السائل والجار والمسكين**»[٢].

لقد فرض الله تعالى على الأموال صدقة معينة هي الزكاة المفروضة، وشرع صدقة غير معينة وهي صدقة التطوع؛ وذلك لتطهير أصحابها من دنس البخل والطمع والدناءة والقسوة على الفقراء والبائسين، وما يتصل بذلك من الرذائل. وتزكية أنفسهم بها ورفعها بالخيرات والبركات حتى ينالوا السعادة في الدنيا والآخرة. فالزكاة اسم لما يخرجه الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء؛ ومن أوصاف المتقين الذين هم في الآخرة في جنات وعيون أنهم كانوا قبل ذلك محسنين وفي أموالهم حق للسائل والمحروم.

قال رسول الله ﷺ: «**ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى**

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٢) مسند أحمد، رقم: ١٢٣٣٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فَلُوَّه أو فَصيله»[١]؛ فالله تبارك وتعالى ينمي الصدقة ويربيها لصاحبها حتى أن التمرة تصبح أكبر من الجبل مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[٢]. بل لقد أقسم النبي ﷺ على أن مال العبد لا ينقص من صدقة تصدق بها منه بل يبارك له فيه بما يجبر نقصه الحسي؛ فقال ﷺ: «**ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه ... ما نقص مال عبد من صدقة**»[٣]، والصدقة تدفع المفسدات عن مال العبد، والإخلاف عليه بما هو أكثر وأطيب وأنفع؛ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[٤]؛ وكما أخبر النبي ﷺ عن ربه: «**يا ابن آدم أَنفِق أُنفق عليك**»[٥]، وكما في دعاء الملكين، قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينـــزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»[٦]؛ وهذا يحتمل أن يكون الخلف في المال نفسه بتيسير أسباب زيادته عن طريق التوفيق في العمل والتجارة ونحو ذلك، والإخلاف في الآخرة بإجزال الأجر وتضعيف الثواب. قال البيهقي رحمه الله: استنـــزلوا الرزق بالصدقة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب كل نوع من المعروف صدقة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٩٤.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَٱتَّقَى...﴾.

٩- صلة الرحم:

قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يُبسَط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليَصل رحمه**»[١].

لقد أمر الإسلام بصلة الرحم ومما رتب على وصلها البسط في الرزق، فمن أحب أن يُبسط له في رزقه فليصل رحمه، ومعنى البسط في الرزق البركة فيه؛ فصلة الأقارب صدقة والصدقة تربي المال وتزيد فيه فينمو بها ويزكو.

وقال النبي ﷺ: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر**»[٢] ومعنى قوله: «**منسأة في الأثر**» يعني به: الزيادة في العمر. فالنبي ﷺ يدعو إلى معرفة الأقارب من ذوي الأرحام حتى يمكن وصل رحمهم بالتقرب إليهم والشفقة عليهم والإحسان إليهم؛ ومن المنافع التي جعلها الله تعود على واصل الرحم الثراء في المال، فكما جعل الله عزَّ وجلَّ صلة الرحم سببًا لزيادة العمر، فإنه جلَّ جلاله جعلها أيضًا سببًا لزيادة المال وكثرته.

١٠- المجاهدة بالمال والنفس:

لقد خلق الله عزَّ وجلَّ الإنسان ويعلم أن المال شيء عزيز على قلب هذا المخلوق الذي هو على استعداد دائم طوال عمره لممارسة أي عمل يجلب له المال ومن ذلك التجارة؛ فدل الله المؤمنين على تجارة مضمونة الربح في الدنيا والآخرة،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦١٢.

وهي خير التجارة؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[1].

فالجهاد في سبيل الله بالمال والنفس هي التجارة المضمونة الربح، وإذا أخبرنا خالقنا تبارك وتعالى أن الجهاد خير لنا فيجب علينا أن نؤمن بذلك أشد الإيمان، فالجهاد سبب للفوز بأشياء عظيمة في الدنيا والآخرة، وقد أخبرنا الله جلَّ جلاله بأنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وبشَّرنا بهذا البيع الذي هو خير البيع والتجارة الرابحة مع الله فقال جلَّ شأنه: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١١١﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[3]؛ أي إذا جاهدتم بأموالكم فأنفقتم بعض المال على الجهاد فذلك خير لكم في الدنيا والآخرة لأن الله تعالى يغنمكم أموال عدوكم فيعوضكم أضعاف ما أنفقتم وبذلك تكسبون من المال في الدنيا أكثر مما تنفقون، فضلاً عما تنالونه من أجر جزيل؛ وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: «**تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهاد في سبيله وتصديق كلمته**

(١) سورة الصف، الآيتان: ١٠-١١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤١.

بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة»[١]، فقد تكفل الله للمجاهد الحق بربح مضمون في جميع الحالات، وإذا تكفل الله بشيء فهو حاصل لا محالة؛ ففي حال استشهاد المجاهد فالله عزَّ وجلَّ تكفل له بالجنة، وفي حال بقاء المجاهد على قيد الحياة تكفل الله تعالى له بإرجاعه إلى بيته مع أجر لا يعلم مقداره إلا الله تعالى إذا لم يغنم، أو مع أجر وغنيمة إذا غنم؛ وقد تكون غنيمته أضعاف ما أنفقه في سبيل الله تعالى.

١١- المتابعة بين الحج والعمرة:

قال رسول الله ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**»[٢]، وفي رواية أخرى: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإن متابعة بينهما تزيد في العمر والرزق وتنفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد**»[٣].

حث النبي ﷺ المؤمنين بأن يتابعوا بين الحج والعمرة، ففضلاً عما فيهما من الأجر العظيم والثواب الجزيل فإنهما يزيلان الفقر ويزيدان في الرزق كما تزيد الصدقة المال، ويزيلان الذنوب كما تزيل النار خبث الحديد، وفوق كل هذا فإن الحجة المقبولة ليس لها جزاء إلا الجنة. وقد أمر الله تعالى بالحج والعمرة فقال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الجهاد والخروج في سبيل الله تعالى.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٦٥٠.

(٣) مسند أحمد، رقم: ١٥٦٣٧، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

إن النبي ﷺ حين يؤكد على أن الحج والعمرة يزيلان الذنوب والفقر، ويزيدان في الرزق فإنه لا ينطق عن الهوى أو من عند نفسه وإنما يقول ما أمره به رب العالمين جلَّ جلاله الذي أرسله رحمة للعالمين ورسولاً إلى الناس أجمعين ليبلغهم رسالة الله تبارك وتعالى وليدلهم على كل ما فيه خير لهم في دنياهم وآخرهم، وليحذرهم من كل ما فيه شر لهم في دنياهم وآخرهم؛ وقد قال الله تعالى عنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1]؛ فما يخبرنا به رسول الله ﷺ فهو وحي من الله تعالى الذي بيده الرزق وهو الذي جعل الحج والعمرة يزيلان الفقر ويزيدان الرزق؛ فبيده الأمر كله تبارك الله رب العالمين.

١٢- العمل بالحلال:

لقد حث الإسلام على العمل وأمر أن يكون العمل في شيء حلال طيب مقبول لأجل تحصيل منافعه التي جعلها الله ثمار الحلال ومنها حفظ المال والبركة فيه وزيادته، ونهى عن كل عمل حرام أو فيه شيء من الإثم لأجل اجتناب النتائج السيئة التي رتبها الله على الحرام ومنها خسارة المال بعضه أو جميعه، وهذا في الدنيا فقط، أما في الآخرة فالعقاب أعظم من ذلك وأشد وهو عذاب النار وبئس المصير. ولأجل ذلك أمر رسول الله ﷺ الناس بأن يحرصوا على أخذ الحلال وترك الحرام فقال ﷺ: «**أيها الناس! اتقوا الله وأجملوا في الطلب. فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها. فاتقوا الله وأجملوا في الطلب. خذوا ما حلَّ، ودعوا ما حَرُمَ**»[2]. وقد قيل: يا رسول الله، أي الكسب أطيب؟ قال: «**عمل الرجل**

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٧٤٣.

بيده، وكل بيع مبرور»[١]. أي كل بيع مقبول حلال لا يخالطه شيء من الإثم. ومن شرط العمل الحلال أن لا يعتقد أن الرزق من الكسب بل من الله تعالى بهذه الواسطة.

١٣- التبكير في طلب الرزق:

عن صخر الغامدي، عن النبي ﷺ قال: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**» وكان إذا بعث سرية أو جيشًا بعثهم من أول النهار، وكان صخر رجلاً تاجرًا، وكان يبعث تجارته من أول النهار، فأثرى وكثر ماله[٢].

إن النبي ﷺ قد دعا الله عزَّ وجلَّ بأن يبارك لأمته في بكورها وهو الوقت الذي يكون في أول النهار بعد صلاة الفجر، ودعاء النبي ﷺ مستجاب، ومن تعود على بدأ عمله ونشاطه في هذا الوقت المبكر في أول النهار يلمس بوضوح أن هذا الوقت لا يماثله أي وقت آخر في بقية النهار، وذلك في كل شيء حتى في صفاء الهواء. وقد جعل الله تعالى لهذا الوقت المبكر بركة في الرزق حتى أن بعض السلف كان إذا رأى أحدًا من أولاده نائمًا في هذه الوقت نهره وقال له: أتنام في هذا الوقت الذي تُقسم فيه الأرزاق؟!.

١٤- عدم التلهي بالمال والعمل عن العبادات:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣]؛ يأمر الله

(١) مسند أحمد، رقم: ١٧١٩٨، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٢٧٠.

(٣) سورة الجمعة، الآية: ٩.

جلَّ جلاله المؤمنين بالسعي إلى ذكر الله وترك البيع إذا نادى المؤذن لصلاة الجمعة، وأن ذلك خير لهم في الدنيا والآخرة إن كانوا يعلمون. فإن كان الخير في الآخرة هو الجنة، فالخير في الدنيا ليس إلا زيادة في الرزق والمال، والصحة والعافية.

وقد مدح الله عزَّ وجلَّ الذين لا تلهيهم تجارتهم وبيعهم عن عبادته فقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[1]؛ وخص الله تعالى التجارة والبيع بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل بها الإنسان عن العبادات وأهمها الصلاة من أجل جني أكبر قدر من المال؛ ولهذا نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن أن تلهيهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله والصلاة؛ وهددهم وتوعدهم بأن من تشغلهم أموالهم أو أولادهم عن ذكره تعالى فإنهم هم الخاسرون في الدنيا والآخرة. فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2]؛ ولهذا فإن أهل طاعة الله يتاجرون ويبايعون ولكنهم إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه إلى الله فاستحقوا مدح الله لهم على ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3]؛ أي إذا أقمت الصلاة وأمرت أهلك

(١) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٩.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣٢.

بإقامتها والمحافظة عليها أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، ولا نكلفك طلب الرزق فنحن نرزقك، وحسن العاقبة وهي الجنة لمن اتقى الله تعالى؛ قال رسول الله ﷺ: «**من كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**»[١]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**يقول الله سبحانه: يا ابن آدم! تفرغ لعبادتي، أملأ صدرك غنىً، وأسُدَّ فقرك**»[٢].

١٥- الشكر لله على النعمة:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٤].

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالأكل من رزقه الحلال الطيب وأن يشكروه تعالى على ذلك فإنه المنعم المتفضل به ابتداء الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له. والرزق والمال نعمة كبيرة من الله تعالى على الإنسان ودونها لا يستطيع العيش، وما دام الرجل يحب دوام هذه النعمة بل وزيادتها؛ فيجب عليه أن يشكر الله عليها، وقد وعد الله عزَّ وجلَّ مَن شكره أن يزيده من فضله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٥]؛ فالآية نص في أن

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣١٣.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣١٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٤) سورة النحل، الآية: ١١٤.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

شكر الله على الشيء سبب للمزيد منه، ووعد الله حق ولن يخلف الله وعده. ومن الشكر معرفة النعمة والتحدث بها، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[١]؛ ومن التحدث بالنعمة إظهارها للناس والله عزَّ وجلَّ يحب ذلك، قال رسول الله ﷺ: «**إذا آتاك الله مالاً فلير عليك، فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنًا، ولا يحب البؤس ولا التباؤس**»[٢].

ومن الشكر الاعتراف بالنعمة لله، والثناء عليه بها والإحسان إلى خلقه منها، واستعمالها في طاعة الله، وعدم استعمالها في معاصيه. وهذا بلا شك يوجب حفظها على الشاكر والمزيد منها. فمن استغل ماله واستخدمه في طاعة الله عزَّ وجلَّ كان ذلك شكرًا على نعمة المال، فكان ذلك سببًا في أن يديم الله عليه الرزق ويزيده منه، فالشكر ليس أن يقول الرجل بلسانه: الحمد لله، الشكر لله. بل إن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عزَّ وجلَّ. وقد وعد الله تعالى من يطيعه ويؤمن به ويعمل الصالحات بأن له رزقًا كريمًا واسعًا فضلاً عما له من مغفرة الله تعالى على ذنوبه، قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٣]. فالشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان، كما قال الله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾[٤]؛ أي اعملوا عملاً هو الشكر على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا؛ وهكذا كان النبي ﷺ يفعل؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى

(١) سورة الضحى، الآية: ١١.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٥٥.

(٣) سورة الحج، الآية: ٥٠.

(٤) سورة سبأ، الآية: ١٣.

قام حتى تفطَّر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**يا عائشة، أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[١]. وكأن الصلاة والصيام والعبادات كلها هي في نفسها الشكر إذ سدَّت مسدَّه. فظاهر القرآن والسنة أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان، فالشكر بالأفعال عمل الأركان، والشكر بالأقوال عمل اللسان.

إن الله جلَّ جلاله أمر بأن يطلب الإنسان الرزق من الله ويعبده ويشكره، فقال تعالى: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾[٢]؛ وعندما يأمر الله عزَّ وجلَّ عباده المؤمنين بالشكر له فذلك ليس لأجله، فهو جلَّ شأنه وتقدست أسماؤه غني عن العالمين وغني عن شكر الناس أجمعين وليس بحاجة إلى أحد من خلقه بل كل مخلوق بحاجة إليه، فالشكر إنما هو لمصلحة العبد؛ لأن نفع الشكر وثوابه يعود على الشاكر نفسه في الدنيا والآخرة؛ ولهذا يرضى الله لعباده الشكر حتى ينفعوا أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ﴾[٤]؛ ولو كفر الناس جميعًا ولم يشكروا فإن الله تعالى لا يتضرر بذلك فإنه الغني عمن سواه.

وقد يرزق الله عبدًا بأموال طائلة ونعم كثيرة اختبارًا له أيشكر أم يكفر؛ ولهذا عندما وجد النبي سليمان عليه السلام أن الله قد أنعم عليه نعمًا كثيرة ومعجزات

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧.

باهرة وكرامات عظيمة حكى الله عزَّ وجلَّ قول نبيه، فقال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[١]. أي يعود نفع الشكر وثوابه على الشاكر نفسه لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[٢]؛ ولقول النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ...**»[٣]. وقال الله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٤]؛ أي وسيجزي الله الذين يطيعون الله فيما أمرهم به وينتهون عما نهاهم عنه، ويشكرون الله على ما أنعم عليهم من النعم والرزق والمال.

إن النجاح مع المال لا يكون في كسبه أو حفظه أو زيادته فحسب، وإنما يكون أيضًا في تجنب خسارته أو تقليله أو هلاكه بالكلية، فكما أن هناك أسبابًا لحفظ المال وزيادته، فهناك أيضًا أسباب لخسارة المال أو تقليله إذا عمل الرجل بأحدها ترتب على ذلك خسارة في ماله أو إقلالاً منه؛ وهذا من العدل الإلهي جزاءً وفاقًا لمن أصر على أن يركب رأسه ويرتكب ما حرَّمه أو نهى عنه الله تعالى ورسوله ﷺ؛ فمن يكره أن يقع له مكروه في ماله فيذهب كله أو بعضه فيجب عليه أن يتجنب الأسباب التي تؤدي إلى ذلك، وهي أسباب كثيرة؛ وفيما يلي أذكر بعضًا منها وسأكتفي بذكر الدليل إما من كتاب الله تعالى أو من حديث النبي ﷺ مع بعض الشرح لأن المقام هنا لا يتسع لذلك وإنما محل ذلك في الكتاب الآخر (**أنت والمال**).

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

١- فعل السيئات:

قال الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾[١]؛ أي إن يصبهم قحط وجدب ونقص في الثمار والزروع وضيق في الرزق وضرر في الأموال تشاءموا وتطيروا ولم يعرفوا أن ذلك كله بقضاء الله وقدره، وأن ما يصيبهم هو من قِبل أنفسهم ومن أعمالهم السيئة هم عقوبة لهم بذنوبهم، وما يعفو عنه الله من سيئاتهم أكثر، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾[٢]، وكما قال رسول الله ﷺ: «**لا يصيب عبدًا نكبة، فما فوقها أو دونها إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر**»[٣]. وقال ﷺ: «**إن الرجل ليُحْرَم الرزق بالذنب يصيبه**»[٤].

٢- الربا:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ﴾[٥].

لقد حرَّم الله الربا وهو الزيادة على رأس المال وأمر عباده المؤمنين بترك الربا

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٧٨-٧٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٧٧٣٢.

(٤) مسند أحمد، رقم: ٢٢٢٨٦، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨-٢٧٩.

وتجنبه وتوعدهم بالحرب إن لم يفعلوا ذلك ويطيعوا أمره؛ وقد «**لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال هم سواء**»(١). فالذي يتعامل بالربا ليكسب دراهم معدودة زيادة على رأس ماله إنما هو في الواقع عدو ماله ويعمل بالسبب الذي يؤدي إلى ضياع ماله بعضه أو كله؛ قال رسول الله ﷺ: «**ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة**»(٢). وهذا لا بد حاصل ولو بعد حين مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾(٣).

٣- إتلاف أموال الناس:

قال رسول الله ﷺ: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدَّى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله**»(٤).

هذا علم من أعلام النبوة لما نرى ونسمع مما يحصل ممن يفعل شيئًا من هذين الأمرين. وظاهر الحديث أن من يأخذ أموال الناس عن طريق الدَّيْن أو نحوه وفي نيته عدم ردها -وهو إتلافها- أتلفه الله في معاشه أو في نفسه في الدنيا لأن الجزاء قد يكون من جنس العمل، وربما يكون الإتلاف عذاب الآخرة، وربما كلاهما.

٤- الحرص والبخل:

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب الربا.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٨٤٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها، أو إتلافها.

تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾[1].

إن من يبخل فإنما يبخل على نفسه فيمنع عنها الأجر والثواب ويعود وبال ذلك إليه؛ لأن الله عزَّ وجلَّ هو الغني عن كل ما سواه ولا يحتاج أموالهم. وقال الله تعالى: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[2]. فهؤلاء الذين يبخلون بما عاهدوا الله عليه من التصدق وينقضون عهدهم يُعرِّضون أنفسهم للهلاك أو لخسارة بعض ما بأيديهم من المال؛ لأن الله سبحانه وتعالى يسلط عليهم من يفعل ذلك بهم؛ كما قال النبي ﷺ: «**ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلا سلَّط الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم**»[3]. وقد حذَّر الله تعالى من الشيطان بأنه يخوِّف العبد من الفقر ليمسك ما بيده فلا ينفقه في مرضاة الله؛ قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4]؛ فوعد الله تعالى بالفضل لمن ينفق المال في سبيل الله في مقابلة ما يعد به الشيطان من الفقر.

إن الملائكة تدعو الله كل يوم أن يعطي المنفق خلفًا والممسك تلفًا؛ قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينـــزلان فيقول أحدهما:**

---

(١) سورة محمد، الآيات: ٣٦-٣٨.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٧٥-٧٦.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٢٤٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»[١]، ومن المحتمل تلف ذلك المال بعينه أو تلف نفس صاحب المال.

٥- الشكوى إلى الناس:

قال رسول الله ﷺ: «**من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقته. ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل**»[٢]؛ فمن أصابته شدة حاجة أو فقر أو ضيق معيشة فعرضها على الناس وأظهرها بطريق الشكاية وطلب إزالة فاقته منهم واعتمد في سدها على سؤالهم لم تُسدَّ فاقته ولم تقض حاجته، وكلما تسد حاجته أصابته أخرى أشد منها، لأنه ترك القادر على حوائج جميع الخلق الذي لا يُغلق بابه وقصد الذين يعجزون عن جلب النفع لأنفسهم ودفع الضرر عنها.

٦- إتيان السفهاء الأموال:

قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**﴾[٣]. السَّفَه: الجهل والخرق وفساد البصيرة وعدم النظر في العواقب. والسفهاء في هذه الآية؛ قال ابن عباس: هم بنوك والنساء. وقيل: النساء والصبيان. وقيل: كل من يستحق الحَجْر. وقيل: كل سفيه صغيرًا كان أو كبيرًا، ذكرًا كان أو أنثى، والسفيه هو الذي يضيع المال ويفسده بسوء تدبيره.

فالله جلَّ جلاله ينهى عن إعطاء الأموال للسفهاء وتمكينهم من التصرف فيها؛ لأن السفيه لا يحسن النظر لنفسه في ماله، ولا يؤمن منه إتلاف ماله في غير

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٩٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥.

وجه. قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يدعون الله عزَّ وجلَّ فلا يُستجاب لهم:. . . ورجل آتى سفيهًا ماله؛ وقال الله تعالى:** ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾»[١].

٧- إضاعة المال:

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال وكثرة السؤال**»[٢]. إن الله عزَّ وجلَّ يكره إضاعة المال؛ وإضاعته تكون بصرفه في غير الأمور الشرعية، والسرف والتبذير في إنفاقه في غير حق، وتعريض المال للتلف، وسبب النهي أنه إفساد والله لا يحب المفسدين، ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس.

وينهى الله سبحانه أيضًا عن الإسراف والتبذير في إنفاق المال لأن فيه إضاعة وإتلاف للمال فقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[٣]؛ ومن أنفق درهمًا في حرام أو فساد أو في غير حق فهو مبذِّر. فالله تبارك وتعالى قد نبَّه المؤمن بأنه ليس المالك المطلق لما لديه من الرزق والمال ولهذا لم يطلق له الحرية الكاملة في التصرف فيه إسرافًا وتبذيرًا وتضييعًا، وأخبره بأنه سيسأله يوم القيامة عن ماله فيما أنفقه كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: ... وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه**»[٤].

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٧٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٦٩.

٨- العمل بالحرام:

قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس! اتقوا الله وأجملوا في الطلب. فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها. فاتقوا الله وأجملوا في الطلب. خذوا ما حلَّ، ودعوا ما حَرُمَ**»(١).

لقد نهى الإسلام عن كل عمل أو بيع حرام لأنه وإن كان ظاهره كسب المال إلا أنه سيؤول إلى خسارة عاجلاً أم آجلاً؛ لأن الإسلام حين ينهى الإنسان عن العمل الحرام فلأجل اجتناب النتائج السيئة التي رتبها الله على الحرام وتطال المال الحرام المكتسب إما بهلاكه أو بضياعه أو بخسارته أو بصرفه على مصائب وأمراض وبلاء أو نحو ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾(٢) **وقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾(٣). **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذيَ بالحرام؛ فأنى يُستجاب لذلك**»(٤)؛ فحتى الدعاء لا يستجيب الله له إذا كان آكلاً للحرام، وقد تنبأ النبي ﷺ بأمر لم يكن في زمنه وحذَّر من فتنة المال، فقال عليه الصلاة والسلام: «**يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام**»(٥).

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٧٤٣.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة وأنواعها وأنها حجاب من النار.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب من لم يبال من حيث كسب المال.

٩- كفر النعمة:

قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[٢]؛ الكفر في اللغة: الستر والتغطية. لقد توعد الله عزَّ وجلَّ من كفر إنعامه بالعذاب الشديد، وقد مضت سنة الله في خلقه أن من كفر نعمة الله و لم يشكر لله عليها؛ يسلبها الله منه ويذيقه ضدها كما حدث مع القرى التي كفرت بأنعم الله وذكر الله تعالى قصصها في القرآن؛ فقد مزَّقهم الله عزَّ وجلَّ كل ممزق وفرَّق شملهم فتفرقوا في البلاد؛ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[٣]، ولا يظنن أحد أن كفر النعمة وعدم شكر الله عليها هو الامتناع عن شكرها باللسان، بل إن معنى كفر النعمة أن يستعمل النعمة في غير الحكمة التي أريدت بها ومن ذلك: البغي بالمال والترفع به على خلق الله والتعاظم عليهم والفساد فيهم؛ وهذا ما فعله قارون الذي كان من قوم موسى فخسف الله به وبداره الأرض. ومن كفر النعمة استعمالها في معصية الله؛ فمن استخدم ماله وتقوى به على ارتكاب المعاصي كان ذلك كفرًا بنعمة المال، فكان ذلك سببًا في زوال هذه النعمة والإصابة بضدها وهو الفقر.

إن الله جلَّ جلاله ينهى عن كفر النعمة لا من أجله، فهو تبارك وتعالى غني عنا وعن العالمين؛ إنما لأجل مصلحة العبد؛ لأن ضرر الكفر وعقابه يعود على

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ١١٢.

(٣) سورة سبأ، الآية: ١٧.

الكافر نفسه في الدنيا والآخرة؛ ولهذا لا يرضى الله لعباده الكفر حتى لا يضرون أنفسهم ولا يتعرضون لعذاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1]. وقد يغدق الله عزَّ وجلَّ على عبد بالنعم الكثيرة والمال الجزيل ولا يكون ذلك لمحبة الله له ورضاه عنه وأنه أهل لهذه النعم ومستحق لها، فقد يكون ذلك استدراجًا واختبارًا له أيشكر أم يكفر؛ فمن عصى الله و لم يشكره على نعمه فلن يضر الله شيئًا بل يضر نفسه وسيعاقبه الله في الدنيا والآخرة بما يستحقه من سلب النعمة منه والعذاب في الآخرة.

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٦.